مداخلة أ.د. فاديا كيوان
المديرة العامة لمنظمة المرأة العربية

في مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي

موضوع الكلمة

المؤثرات السياسية والاقتصادية والأمنية والتكنولوجية على التجديد

القاهرة : 28 يناير 2020

سماحة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف،

أصحاب السماحة والسيادة والمعالي والسعادة ،

أيها الحضور الكريم،

إن المبادرة إلى طرح موضوع تجديد الفكر الدينى هي في غاية الشجاعة، ونحن نحيي سماحة الإمام الأكبر الشيخ أحمد الطيب عليها. فالبشرية اليوم هي بحاجة أكثر من أي وقت مضى للقيم المدنية والروحية التى ينشرها الدين وذلك لمعالجة الخلل الحاصل بين التقدم العلمي والتكنولوجي المتسارع وقلق الإنسان الوجودي . فالدين يمكن أن يطمئن ويرشّد السلوك البشري بحيث يبقى الإنسان مسيطراً على قدراته الفكرية والعلمية فلا تجره إلى فائض قوة قد يؤدي بالبشرية إلى الهلاك .

- عوامل عدة تدفع إلى فتح هكذا حوار حول تجديد الفكر الديني . ومن أهمها : التكيف مع المكان والزمان.
- ملاقاة الأديان الأخرى.
- فتح حوار واسع بين الشعوب والثقافات والحضارات.
- إعادة تموضع البشر في ضوء الاختراعات التكنولوجية المتقدمة والاكتشافات العلمية لاسيما منها تلك المتعلقة بالجينات البشرية.

أضف إلى ذلك التطور الاقتصادي الذي زادت معه الفجوات بين الشعوب وبين الأسر والأفراد. كما وأن العالم المعاصر قد بنى منظومة حقوقية عالمية هي شرعة حقوق الإنسان، وباتت هذه المنظومة مرشّدة ومعياراً للسلوك الإنساني في مختلف المجتمعات. ومن الطبيعي أن تتجاذب كل انسان هذه المنظومة من جهة والتعاليم الدينية من جهة أخرى، ما هو ملفت في زمننا هو تشّكل ثقافة عالمية مرافقة للتطور الحاصل في ميدانين على وجه الخصوص :

1- العولمة الاقتصادية؛ وهي تتجسد في آليات عمل وانتاج تخترق الحدود الوطنية والقومية وتتحكم إلى حدٍ كبير بحياة البشر وأرزاقهم ونظم حمايتهم أفرادًا وجماعات.

2- التطور التكنولوجي المتسارع؛ وبخاصة القفزات النوعية التي أحدثها هذا التطور في ميدان وسائل الاتصال والتواصل على المستوى العالمي .

أمام هذا المشهد تتوالى الأزمات السياسية في العالم، وقد شهد القرن الماضي تحولات كبرى في كل الميادين وأطّل القرن الواحد والعشرين مترافقاً وأزمة الدول القومية وسيطرة أحادية على العلاقات الدولية، بالرغم من إعادة تشكل المشهد العالمي وظهور قوى جديدة ذات نفوذ كوني كبير.

وإذا نظرنا إلى المنطقة العربية وجدنا إنها تعيش مآسي متلاحقة وتنخرها الحروب والفتن .

وإذا نظرنا إلى العالم الإسلامي الأوسع، وجدنا أيضا شبح الحروب ماثلاً، والفقر وبطء التنمية يلازمان أغلب مسارات الدول الإسلامية .

لكن العامل الأقوى في دعوتنا جميعاً إلى تكثيف اللقاءات وفتح الحوارات والسعي لتجديد الفكر الديني، هو تصاعد الفكر المتطرف والإرهاب متلبسين بالدين، مشوهين لصورته ولدوره ولسمعته. وها نحن مظلومون في العلاقات البشرية والعلاقات فيما بين الدول لأن هناك شيطنة للدين وتناقلاً مجتزءاً لنصوص دينية يهدف إلى تشويه صورة الدين واضفاء الشرعية المزورة على سلوكيات عنيفة وعبثية وإجرامية تندى لها كل نفس انسانية كريمة.

فالإسلام تعرفنا عليه دين الرحمة والتكافل، ونحن اليوم في زمن الحاجة الأمس للرحمة والتكافل . الإسلام كان رائداً بالجزم بأن لا إكراه في الدين، فيما كان شائعاً القول بأن الناس على دين ملوكها.

الإسلام كان رائدًا في وضع آليات للتكافل عقوداً قبل ظهور فكرة العدالة الاجتماعية.

الإسلام كان سباقاً في وضع آلية لمساهمة المؤمنين في حياة الجماعة عبر قاعدة الزكاة وذلك قبل ظهور فكرة ضريبة الدخل المدنية.

إن زمننا هو أيضاً زمن التناقضات والمفارقات.

- فيعدونا بالحرية ونرى الشعوب أكثر قهراً واستغلالاً
- ينادون بحق الشعوب في إدارة شؤونها ونرى العالم بأسره محكوماً من قلة مستبدة غير خاضعة للمساءلة،
- يبشرون بالديمقراطية سبيلاً للحكم الرشيد ونرى الديمقراطيات تتساقط الواحدة تلو الأخرى تحت وقع الفساد والظلم والتسلط.

فكيف علينا أن نفهم مثلاً الحركات الاجتماعية الشعبية في الساحات فيما الأنظمة القائمة ناتجة في أغلبها عن انتخابات عامة؟

إنها أزمة الديمقراطية التي إعتُدّ بها بلسماً فإذا بها تحمل شبح التحايل من جانب الأقوى، وسلب إرادة الناس سلباً وأخذها رهينة. نطالب بالقوانين الوضعية للتحكيم بين الناس وندرك أن غالبها يبقى حبراً على ورق.

زمننا متشوق للأخلاق: للأخلاق في العلاقات بين البشر، في العلاقات بين الرجل والمرأة، للعلاقات بين الشعوب، للعلاقات بين الدول.

فكيف نعيد بناء منظومة قيمية قادرة على توفير الطمأنينة والحرية الشخصية والعدالة وتنشر العدل بين الأفراد وبين الجماعات وبين الشعوب؟

الشعور بفائض القوة لا يلجمه إلا مخافة الله.

الخلل بين قدرتنا المادية كبشر وهواجس كل انسان رابضٍ في كل منا، لا يعالجه غير شحن معنوي أخلاقي متين، يعطي الإنسان فينا الأمل والرجاء والقوة على الصمود من أجل إحقاق الحق الذي يمليه عليه ضميره الإنساني.

إن ما أقوله حول الحاجة إلى التجديد في الفكر الديني الإسلامي أقوله أيضاً عن اقتناع حول التجديد في الفكر الديني المسيحي. وهي ديانتي. فالبشر كل البشر تواقون إلى قيم روحية وأخلاقية ومدنية متينة تساعدهم في مواجهة تحديات هذا الزمن.

فإذا حصل هذا التجديد المأمول في الفكر الديني الإسلامي وفي الفكر الدينيى المسيحي، تكون مؤسسات الأديان قد تقدمت إلى وسط الطريق لملاقتنا ومساعدتنا على الوفاء لزمننا كما نحن نسعى للبقاء أوفياء لتاريخنا. وهي المصالحة الكبرى بالنسبة لكل منا: أن نبقى متأصلين وأن نشارك معاً مع البشرية في بناء غد أفضل للإنسانية جمعاء، غدٍ ننقذ فيه الأرض وهي هدية الرب لنا جميعاً وننقذ فيه ذواتنا عبر السعي للعدالة وللحوار من أجل بناء السلام فيما بين الشعوب.